بُنَاة دَوْلَـةِ الإسْلام

- ٢٣ -

عُبَادَة بن الصَّامِت

رَضِيَ اللّٰه عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وُلِدَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ فِي المَدِينَةِ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَمَانٍ وَثَلاثِينَ سَنَةً، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَمْسَةَ عَشَرَ عاماً، وَعَاشَ حَتَّى تُوفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلاثِينَ لِلْهِجْرَةِ فِي خِلافَةِ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَتكُونُ حَيَاتُهُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

كَانَ رَجُلاً طَوِيلاً، جَسِيماً، ضَخْماً، أَسْوَدَ اللَّوْنِ، مَهِيباً، قَوِيَّ البُنْيَةِ، يَهْتَمُّ بِحُسْنِ لِبَاسِهِ.

أَمَّا أَبُوهُ الصَّامِتُ بنُ قَيْسِ بنِ أَصْرَمَ مِنْ بَنِي سَالِمِ بنِ عَوْفٍ مِنَ الخَزْرَجِ فَلَمْ يُدْرِكِ الإِسْلاَمَ، وَقَدْ تُوفِّيَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ.

وَأَمَّا أُمُّهُ فَهِيَ قُرَّةُ العَيْنِ بِنْتُ عُبَادَةَ بنِ نَضْلَةَ بنِ مَالِكٍ مِنَ الخَزْرَجِ أَيْضاً فَقَدْ أَسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ تُعْرَف غَيْرُ أُمِّهِ بِهٰذَا الاسْمِ «قُرَّةُ العَيْنِ» فِي

تِلْكَ المَرْحَلَةِ. وَهِـيَ أُخْـتُ العَبَّاسِ بـنِ عُبَادَةَ بـنِ نَضْلَـةَ الأنْصَارِيِّ الَّذِيْ شَهِدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ.

فِي الإِسْلاَمِ:

كَانَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الأنْصَارِ، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنْ بِعْثَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِسَنَوَاتٍ ثَلاَثٍ. وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، كَانَ يُوَافِـي المَوَاسِـمَ فِي كُلِّ عَامٍ، وَيَتْبَـعُ الحَـاجَّ فِي مَنَازِلِهِـمْ، وَفِـي الأسْوَاقِ، فِي عُكَاظ، وَذِيْ مَجَنَّـةَ، وَذِيْ مَجَـازٍ، وَيَعْـرِضُ نَفْسَهُ عَلَى القَبَائِلِ كُلَّمَا سَنَحَتْ لَهُ الفُرْصَةُ يَدْعُوهُـمْ إِلَـى أَنْ يَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَهَ رَبِّهِ، وَلَهُمُ الجَنَّةُ، وَيَقُولُ لَهُمْ: (يَا أَيُّهَا النَّـاسُ قُولُـوا: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّـهَ تُفْلِحُـوا، وَتَمْلِـكُوا بِهَـا العَـرَبَ، وَتَـذِلُّ لَكُمُ العَجَـمُ، وَإِذَا آمَنْتُـمْ كُنْتُـمْ مُلُـوكاً فِي الجَنَّةِ). وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَسْمَعْ مِنْهُ، وَلَمْ يَجِدْ نَاصِرَاً لَهُ إِلاَّ اللَّهَ. وَيَجِدُ أَحْيَاناً الرَدَّ القَبِيحَ بَلْ رُبَّما يَصِلُ الأمْرُ إِلَى الأذَى إِذْ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ فِيمَا تَقولُ خَيْرَاً لاَ تَّبَعَكَ أَهْلُكَ فَهُمْ أَعْلَمُ بِكَ وَأَدْرَى، حَيْثُ كَانَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ عَبْدُ العُزَّى بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ يَسِيرُ وَرَاءَهُ وَيُكَذِّبُهُ، وَيُسَفِّهُ رَأْيَهُ، وَيَقُولُ لِرِجَالِ القَبَائِـلِ:

«لاَ تَسْمَعُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ صَابِىءٌ كَاذِبٌ» وَيَقُولُ أَحْيَاناً «إِنَّهُ مَجْنُونٌ».

وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ لِدِينِهِ أَنْ يَنْتَشِرَ وَلِنَبِيِّهِ أَنْ يَنْتَصِرَ، وَأَنْ يُنْجِزَهُ مَا وَعَدَهُ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ لِلأَنْصَارِ هَذَا الخَيْرَ العَمِيمَ، فَوَجَّهَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ وَهُمْ يَحْلِقُونَ رُؤُوسَهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ وَمِنْ قَوْمِهِ قُرَيْشٍ بَلْ أَعْمَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَؤُلاَءِ الأَنْصَارَ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَاسْتَجَابُوا إِلَيْهِ، وَصَدَّقُوهُ، وَكَانُوا دُونَ العَشْرَةِ ـ عَلَى اخْتِلاَفٍ فِي الرِّوَايَاتِ ـ وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وَكُلُّهُمْ مِنَ الخَزْرَجِ.

وَعِنْدَمَا عَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الإِسْلاَمَ عَلَى هَؤُلاَءِ الخَزْرَجِ أَسْلَمُوا، فَقَالَ لَهُمْ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَمْنَعُونَ لِي ظَهْرِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي؟). فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ مَجْتَهِدُونَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ مُتَبَاغِضُونَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثٍ[1] عَامَ الأَوَّلِ، يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِنَا اقْتَتَلْنَا فِيهِ، فَإِنْ تَقْدُمْ، وَنَحْنُ كَذَا، لاَ يَكُونُ لَنَا عَلَيْكَ

---

(١) بعاث: يوم من الأيام التي اقتتل فيها الخزرج والأوس، ودارت الدائرة على الخزرج، وكاد الأوس يستأصلونهم.

اجْتِمَاعٌ ، فَدَعْنَا حتَّى نَرْجعَ إلِى عَشَائِرِنَا ، لَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحُ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وَمَوْعِدُكَ المَوْسِمُ المُقْبِلُ .

وَرَجَعَ هَؤُلاَءِ المُسْلِمُونَ إلَى المَدِينَةِ ، وَدَعُوا قَوْمَهُمْ إلَى الإِسْلاَمِ ، فَأَسْلَمَ عَدَدٌ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إلاَّ فِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمُنْذُ أَنْ أَسَلَمَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ارْتَبَطَ بالإِسْلاَمِ ارتِبَاطَاً وَثِيقَاً ، وَتَعَلَّقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَعَلُّقَاً شَدِيداً فَلَمْ يَكُنْ مَشْهَدٌ مِنْ مَشَاهِدِ الإِسْلاَمِ إلاَّ وَحَضَرَهُ ، وَلَمْ يَغْزُ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، غَزْوَةً ، وَلَمْ يَسِرْ إِلَى مَكَانٍ إلاَّ وَكَانَ مَعَهُ .

فِي العَقَبَةِ الأولَى :

وَاسْتَدَارَ العَامُ عَلَى إسْلاَمِ تِلْكَ الفِئَةِ المُؤْمِنَةِ القَلِيلَةِ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَسَارَ حُجَّاجُ المَدِينَةِ إلَى المَوْسِمِ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ اثْنَا عَشَرَ مُسْلِمَاً سَارُوا مَعَ الرَّكْبِ ، وَالرَّكْبُ لاَ يَعْرِفُ إِسْلاَمَهُمْ ، وَكَانَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ ، بَيْنَهُمْ ، كَانَ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ وَاثْنَانِ مَنِ الأَوْسِ ، وَالْتَقَى هَؤُلاَءِ

المُسْلِمُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالعَقَبَةِ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الأولَى، أَوْ كَمَا عُرِفَتْ بِبَيْعَةِ النِّسَاءِ. قَالَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ مِمَّنْ حَضَرَ العَقَبَةَ الأولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الحَرْبُ، عَلَى أَنْ لاَ نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئَاً، وَلاَ نَسْرِقَ، وَلاَ نَزْنِيَ، وَلاَ نَقْتُلَ أَوْلاَدَنَا، وَلاَ نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلاَ نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ. فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الجَنَّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئَاً فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ.

وَقَدْ سُمِّيَتْ هَذِهِ البَيْعَةُ بِبَيْعَةِ النِّسَاءِ لأَنَّ المُؤْمِنَاتِ كُنَّ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُمْتَحَنَّ بِهَذَا حَسْبَ الآيَةِ الكَرِيمَةِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئَاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

---

(١) سورة الممتحنة الآية ١٢.

وَلَمَّا انْصَرَفَ الأنْصَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ القُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الإِسْلامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ يُسَمَّى مُصْعَبُ بِالمَدِينَةِ بِالمُقْرِىءِ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَسْعَدِ بنِ زُرَارَةَ.

وَقَدْ وَصَلَ عَدَدُ المُسْلِمِينَ إِلَى أَرْبَعِينَ مُسْلِمَاً وَكَانَ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ أَوَّلَ مَنْ جَمَّعَ بِهِمْ فِي المَدِينَةِ وَبَدَأَ العَدَدُ يَزْدَادُ، وَمَا جَاءَ المَوْسِمُ إِلاَّ وَكَثُرَ المُسْلِمُون فَخَرَجَ مِنْهُمْ ثَلاَثَةٌ وَسَبْعُونَ مُسْلِمَاً إِلَى الحَجِّ مَعَ امْرَأَتَينِ وَكَانَ مَوْعِدُهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالعَقَبَةِ بِأَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الثُّلُثِ الأَوَّلِ مِنَ اللَّيْلِ. أَمَّا عَدَدُ حَجِيجِ المَدِينَةِ مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ فَقَدْ بَلَغَ خَمْسَمَائَةِ حَاجٍّ. وَحِينَ وَعَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يُنَبِّهُوا نَائِماً وَلاَ يَنْتَظِرُوا غَائِبَاً.

فِي العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ:

فَلَمَّا هَدَأَ اللَّيْلُ وَنَامَ النَّاسُ قَامَ المُسْلِمُونَ يَتَسَلَّلُونَ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَيْنِ لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا

اجْتَمَعُوا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ بنُ عَبْد المُطَّلِبِ، فَكَانَ أَوَّلَ المُتَكَلِّمِينَ، وَتكَلَّمَ مِنَ الأنْصَارِ مَنْ تَكَلَّمَ، ثُمَّ تَمَّتْ بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي فِيهَا النَّصْرُ وَالحِمَايَةُ، قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُبَايِعُكَ. فَقَالَ: (تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَالنَّفَقَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَعَلَى الأمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ، لاَ تَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الجَنَّةُ)، فَبَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلأَنْصَارِ: أَخرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً، لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً، تِسْعَةً مِنَ الخَزْرَجِ، وَثَلاثَةً مِنَ الأوْسِ، وَكَانَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَدَ نُقَبَاءِ الخَزْرَجِ.

فِي المَدِينَةِ:

وَرَجَعَ الأنْصَارُ إِلَى المَدِينَةِ، وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى المُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي مَكَّةَ بِالهِجْرَةِ إِلَى إِخْوَانِهِمْ فِي المَدِينَةِ فَبَدَأَتْ هِجْرَةُ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى المَدِينَةِ، وَآخَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ مُؤَاخَاةُ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ مَعَ أَبِي مَرْثَدِ الغَنَوِيِّ كَنَّازِ بنِ الحُصَيْنِ. وَكَانَتْ هَذِهِ المُؤَاخَاةُ بِمَثَابَةِ صَهْرِ المُسْلِمِينَ جَمِيعاً فِي كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ أَمَامَ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ، ثُمَّ وَادَعَ يَهُودَ فَكَانَ أَهْلُ المَدِينَةِ جَمِيعُهُمْ قُوَّةً تَقِفُ أَمَامَ أَيِّ غَزْوٍ لِمَدِينَتِهِمْ أَوْ أَيِّ هُجُومٍ تَتَعَرَّضُ لَهُ سَوَاءٌ أَكَانَ مِنْ قُرَيْشٍ أَمْ مِنْ أَيَّةِ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ العَرَبِ أَوْ أَيَّةِ فِئَةٍ مِنَ النَّاسِ.

أَصْبَحَتِ المَدِينَةُ دَاراً لِلإِسْلَامِ وَمَعْقِلاً يَلْجَؤُونَ إِلَيْهِ، وَعِنْدَهَا شَرَعَ اللَّهُ جِهَادَ الأَعْدَاءِ إِذْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

بَدَأَ المُسْلِمُونَ يَسْتَعِدُّونَ لِلْجِهَادِ فَمَسَحُوا الأَرْضَ الَّتِي

---

(١) سورة الحج ٣٩ ـ ٤٠.

تَوَقَّعُوا أَنْ تَكُونَ مَيْدَاناً لِلْقِتَالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ ، مَسَحُوهَا بِالسَّرَايَا وَالغَزَوَاتِ الَّتِي جَاسَتْهَا، وَتَعَرَّفُوا عَلَى سُكَّانِهَا مِنَ القَبَائِلِ ، وَعَقَدُوا اتِّفَاقَاتٍ مَعَ بَعْضِ هَذِهِ القَبَائِلِ ، وَأَظْهَرُوا قُوَّتَهُمْ لِقُرَيْشٍ وَأَبْدُوا فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ اسْتَعْدَادَهُمْ لِلنِّزَالِ بِتَعَرُّضِهِمْ لِلْقَوَافِلِ الغَادِيَةِ وَالرَّائِحَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ حَتَّى إِذَا قَضَى اللَّهُ وُقُوعَ القِتَالِ تَعَرَّضَ المُسْلِمُونَ لِعِيرِ أَبِي سُفْيَانَ لَكِنَّهَا نَجَتْ، وَهَبَّتْ قُرَيْشٌ لإِنْقَاذِ قَافِلَتِهَا وَعَمِلَتْ عَلَى تَأْدِيبِ المُسْلِمِينَ عَلَى زَعْمِهَا فَكَانَ القِتَالُ، وانْتَصَرَ الحَقُّ وَهُزِمَ البَاطِلُ، وَكَانَتِ الخَسَارَةُ الجَسِيمَةُ لِقُرَيْشٍ إِذْ خَلَّفَتْ عَلَى أَرْضِ المَعْرَكَةِ صَنَادِيدَ الشِّرْكِ وَأَبْطَالَ الْكُفْرِ صَرْعَى، وَسَلَّمَتْ زُعَمَاءَ البَاطِلِ وَكِبَارَ الطُّغَاةِ أَسْرَى لِلْمُسْلِمِينَ. وَكَانَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَطَلاً مِنْ أَبْطَالِ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ.

وَرَجَعَ المُسْلِمُونَ إِلَى المَدِينَةِ يَسُوقُونَ أَمَامَهُمُ الأسَارَى، وَيَحْمِلُونَ مَعَهُمُ الغَنَائِمَ، وَرَأَى ذَلِكَ المُنَافِقُونَ فَكَانَتْ صَدْمَةً إِلَيْهِمْ كَبِيرَةً وَكَانُوا قَدْ كَذَّبُوا البَشِيرَ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ بَدْرٍ إِثْرَ مَعْرَكَتِهَا مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ كَانَ قَدْ بَعَثَ عَبْدَاللَّهِ بنَ رَوَاحَةَ بَشِيراً إِلَى أَهْلِ العَالِيَةِ وَزَيْدَ بنَ

حَارِثَةَ إِلَى أَهْلِ السَّافِلَةِ فَكَذَّبُوهُمَا. وَشَاهَدَ يَهُودُ مَا أَصَابَ المُسْلِمُونَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَكَانَتْ لَطْمَةً عَنِيفَةً لَهُمْ أَذْهَلَتْهُمْ فَرَأَوْا أَنْ يَتَقَوَّوْا بِكَلاَمِهِمْ وَيَفْتَخِرُوا بِقَوْلِهِمْ خَوْفاً وَجَزَعاً فَقَالَ قَائِلُهُمْ وَهُوَ مَالِكُ بنُ الصَّيْفِ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ رَدّاً عَلَى حُلَفَائِهِمْ مِنَ الخَزْرَجِ حِينَ قَالُوا لَهُمْ: أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِيَوْمٍ مثلِ يَوْمِ بَدْرٍ، قَالَ: أَغَرَّكُمْ إِنْ أَصَبْتُمْ رَهْطاً مِنْ قُرَيْشٍ لاَ عِلْمَ لَهُمْ بِالقِتَالِ، أَمَا لَوْ أَسْرَرْنَا العَزِيْمَةَ أَنْ نَسْتَجْمِعَ عَلَيْكُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ يَدٌ أَنْ تُقَاتِلُونَا. وَمَا أَنْ يَسْمَعَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هَذَا القَوْلَ مِنْ حُلَفَائِهِ اليَهُودِ حَتَّى يَتَحَرَّكَ الإِيمَانُ فِي نَفْسِهِ وَيَرْتَفِعَ عَنِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا، وَيُسْرِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنَ اليَهُودِ كَانَتْ شَدِيدَةً نُفُوسُهُمْ، كَثِيراً سِلاَحُهُمْ، شَدِيدَةً شَوْكَتُهُمْ، وَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ وَلاَيَةِ يَهُودٍ وَلاَ مَوْلَىً لِي إِلاَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ مِنَ الخَزْرَجِ وَكَانَ زَعِيماً مِنْ زُعَمَائِهِمْ وَلَهُ مَوَالِيَ مِنْ يَهُودَ كَمَا لِعُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ لَكِنِّي لاَ أَبْرَأُ مِنْ وَلاَيَةِ يَهُودَ إِنِّي رَجُلٌ لاَ بُدَّ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَبَا الحُبَابِ أَرَأَيْتَ الَّذِيْ نَفِسْتَ بِهِ مِنْ وَلاَيَةِ يَهُودَ عَلَى عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ فَهُوَ لَكَ دُونَهُ) فَقَالَ: إِذَنْ أَقْبَلُ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾[1].

وَقِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَى الشَّرَّ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَجَمَعَهُمْ بِسُوقِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، احْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنَ النَّقْمَةِ، وَأَسْلِمُوا، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؛ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ: إِنَّكَ تَرَى أَنَّا قَوْمُكَ! لاَ يَغُرَّنَكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْماً لاَ عِلْمَ لَهُمْ بِالحَرْبِ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً، إِنَّا وَاللَّهِ لَئِن حَارَبْنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادُ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَقَتَا، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي

---

(١) سورة المائدة ٥١ ـ ٥٣.

سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ العَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَارِ﴾[1].

وَقِيلَ: إِنَّ امْرَأَةً مِنَ العَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلَبٍ لَهَا، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِغٍ بِهَا، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ، فَعَمَدَ الصَّائِغُ إِلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا، فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْأَتُهَا، فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَتْ. فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيّاً، وَشَدَّتِ اليَهُودُ عَلَى المُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ المُسْلِمِ المُسْلِمِينَ عَلَى اليَهُودِ، فَغَضِبَ المُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ.

فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ، حِينَ أَمْكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيَّ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الخَزْرَجِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَحْسِنْ فِي مَوَالِيَّ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْسِلْنِي،

---

(١) سورة آل عمران ١٢ ـ ١٣.

وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى رَأَوُا لِوَجْهِهِ ظُلَلاً، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ أَرْسِلْنِي؛ قَالَ: وَاللَّهِ لاَ أُرْسِلُكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي مَوَالِيَّ، أَرْبَعُمِائَةِ حَاسِرٍ، وَثَلاَثُمائَةِ دَارِعٍ قَدْ مَنَعُونِي مِنَ الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إِنِّي وَاللَّهِ امْرُؤٌ أَخْشَى الدَّوَائِرَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُمْ لَكَ.

وَقَدِ اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى المَدِينَةِ أَثْنَاءَ حِصَار بَنِي قَيْنُقَاعٍ الَّذِي اسْتَمَرَّ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَشِيرَ بنَ عَبْدِ المُنْذِرِ. وَقَدْ تَشَبَّثَ عَبْدُاللَّهِ بن ِ أُبَيٍّ بن ِ سَلُولِ بِبَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَقَامَ دُونَهُمْ، وَمَشَى عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لَهُ مِنْ حِلْفِهِمْ مِثْلُ الَّذِيْ لَهُمْ مِنْ عَبْدِاللَّهِ بن ِ أُبَيٍّ، فَخَلَعَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ حِلْفِهِمْ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، وَأَبْرَأُ مِنْ حِلْفِ هَؤُلاَءِ الكُفَّارِ وَوَلاَيَتِهِمْ. وَفِي هَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي

القَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾[1] . وَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَنِي قَيْنُقَاعٍ مِنَ المَدِينَةِ.

وَشَهِدَ عُبَادَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ حَضَرَ بَعْدَ بَدْرٍ، أُحُداً، وَالخَنْدَقَ، وَصُلْحَ الحُدَيْبِيَةِ، وَفَتْحَ خَيْبَرَ و. . .

وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى جِبَايَةِ

(١) سورة المائدة ٥١ ـ ٥٦ .

الصَّدَقَاتِ، وَقَالَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ يَا أَبَا الوَلِيدِ، اتَّقِ اللَّـهَ، لاَ تَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٍ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٍ لَهَا ثُؤَاجٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ ذَلِكَ لِكَذَلِكَ، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَعْمَلُ عَلَى اثْنَيْنِ أَبَداً.

وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، وَهُـوَ عَنْـهُ رَاضٍ.

فِي الشَّامِ:

خَرَجَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ مَعَ الجُيُوشِ الفَاتِحَةِ إِلَى الشَّامِ، وَاسْتَقَرَّ هُنَاكَ. وَكَتَبَ يَزِيدُ بـنُ أَبِـي سُفْيَانَ أَمِيرُ الشَّـامِ إِلَـى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ أَمِيرِ المُـؤْمِنِينَ كِتَابـاً يَقُـولُ فِيهِ: إِنَّ أَهْـلَ الشَّامِ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُعَلِّمَهُمُ الإِسْلاَمَ، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ، فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَزِيدَ بِأَنَ يَكُونَ المُرْشِدُونَ مُعَاذَ بـنَ جَبَـلٍ، وَعُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ، وَأَبَا الدَرْدَاءِ.

وَلَّى أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ أَمِيرُ جُيُوشِ الشَّامِ عُبَادَةَ بـنَ الصَّامِتِ إِمْرَةَ حِمْصَ، ثُمَّ صَرَفَهُ إِلَى الجِهَادِ فَفَتَحَ اللاَّذِقِيَّةَ، وَجَبْلَةَ، وَانْطَرْطُوسَ (طَرْطُوسَ) سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ.

فِي مِصْرَ:

وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِطَاعُونِ عَمْوَاسَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ أَعَادَهُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى إِمْرَةِ حِمْصَ ثَانِيَةً ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ صَرَفَهُ إِلَى الجِهَادِ حَيْثُ سَيَّرَهُ إِلَى مِصْرَ، لأَنَّ عَمْرَو بنَ العَاصِ كَانَ قَدْ وَجَدَ فِي حِصْنِ بَابِلْيُون عقبَةً أَمَامَهُ، فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ يَسْتَمِدُّهُ، وَيعلِمُهُ بِذَلِكَ، فَأَمَدَّهُ بِأَرْبَعَةِ آلاَفِ رَجُلٍ عَلَى كُلِّ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلٌ يَقُومُ مَقَامَ الأَلْفِ: الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، وَالمِقْدَادُ بنُ عَمْرو، وَعُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وَمَسْلَمَةُ بنُ مُخَلَّدٍ، وَقِيلَ بَلْ خَارِجَةُ بنُ حُذَافَةَ بَدَلاً مِن مَسْلَمَةَ وَقَالَ عُمَرُ لَهُ: اعْلَمْ أَنَّ مَعَكَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً مِنْ قِلَّةٍ. فَلَمَّا أَبْطَأَ الفَتْحُ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عَمْرو بنِ العَاصِ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ عَجِبْتُ لإِبْطَائِكُمْ عَنْ فَتْحِ مِصْرَ، إِنَّكُمْ تُقَاتِلُونَهُمْ مُنْذُ سَنَتَيْنِ؛ وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لِمَا أَحْدَثْتُمْ وَأَحْبَبْتُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَحَبَّ عَدُوُّكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لاَ يَنْصُرُ قَوْماً إِلا بِصِدْقِ نِيَّاتِهِمْ، وَقَدْ كُنْتُ وَجَّهْتُ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ، وَأَعْلَمْتُكَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ مَقَامَ أَلْفِ رَجُلٍ، عَلَى مَا كُنْتُ أَعْرِفُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ غَيَّرَهُمْ مَا غَيَّرَهُمْ! فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي، فَاخْطُبِ النَّاسَ، وَحُضَّهُمْ

عَلَى قِتَالِ عَدُوِّهِمْ، وَرَغِّبْهُمْ فِي الصَّبْرِ والنِّيَةِ، وَقَدِّمْ أُولَئِكَ الأَرْبَعَةَ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، وَمُرِ النَّاسَ جَمِيعَاً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ صَدْمَةٌ كَصَدْمَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَلْيَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ الزَّوَالِ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ فِيهَا، وَوَقْتُ الإِجَابَةِ، وَلْيَعُجَّ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ، وَيَسْأَلُوهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ.

فَلَمَّا أَتَى عَمْرَاً الكِتَابَ، جَمَعَ النَّاسَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ عُمَرَ، ثُمَّ دَعَا أُولَئِكَ النَّفَرَ، فَقَدَّمَهُمْ أَمَامَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا، وَيُصَلُّوا رَكْعَتَينِ ، ثُمَّ يَرْغَبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَسْأَلُوهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، فَفَعَلُوا فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَحِينَ حَاصَرَ المُسْلِمُونَ حِصْنَ بَابِلْيُونَ وَكَانَ قَوِيَّاً وَفِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّومِ يُدَافِعُونَ عَنْهُ بِجَانِبِ القِبْطِ، والقِبْطُ قَدْ حَشَدُوا فِيهِ أَمْهَرَ فُرْسَانِهِمْ وَأَقْوَى أَبْطَالِهِمْ وَعَلَيْهِمُ المُقَوْقَسُ حَاكِمُ مِصْرَ، لِذَا فَقَدْ تَأَخَّرَ الفَتْحُ وَطَالَ الحِصَارُ إِذْ دَامَ شَهْرَاً كَامِلاً. وَلَمَّا رَأَى القِبْطُ عَزِيمَةَ المُسْلِمينَ عَلَى الفَتْحِ وَإِصرَارِهِمْ عَلَى دُخُولِ الحِصْنِ ، وَصَبْرِهِمْ عَلَى الحِصَارِ وَقُوَّتِهِمْ فِي الجِلادِ خَرَجَ المُقَوْقِسُ وَمَعَهُ أَكَابِرُ القِبْطِ مِنْ بَابِ الحِصْنِ القِبْلِيِّ، وَتَرَكُوا بِهِ حَامِيَةً لِلدِّفَاعِ عَنْهُ، وَالْتَجَؤُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي النِّيلِ ، وَأَمَرُوا بِقَطْعِ الجِسْرِ الَّذِي يَصِلُهَا بِالْبَرِّ،

وَكَانَ النِّيلُ فِي أَوْجِ فَيضَانِهِ، وكَانَ قَائِدُ حَامِيَةِ الحِصْنِ مِنْ قِبَلِ المُقَوْقِسِ قَائِدٌ يُدْعَى «الأعَيْرِجُ» فَلَمَّا خَافَ مِنِ اقْتِحَامِ المُسْلِمِينَ الحِصْنَ عَلَيْهِ، رَكِبَ هُوَ وَأَهْلُ القُوَّةِ وَالشَّرَفِ مِنْ أَتْبَاعِهِ السُّفُنَ المُلْصَقَةَ بِالحِصْنِ وَلَحِقُوا بِالمُقَوْقِسِ فِي الجَزِيرَةِ.

رَأَى المُقَوْقِسُ مُفَاوَضَةَ المُسْلِمِينَ، وَظَنَّ أَنَّهُ يُمْكِنُهُ تَخْوِيفَهُمْ فَيَقْبَلُونَ الصُّلْحَ، وَيَحْصَلُ عَلَى شُرُوطٍ أَفْضَلَ فَكَتَبَ إِلَى قَائِدِ المُسْلِمِينَ عَمْرِو بنِ العَاصِ كِتَاباً يَقُولُ فِيهِ: «إِنَّكُمْ قَدْ وَلَجْتُمْ فِي بِلاَدِنَا، وَأَلْحَحْتُمْ عَلَى قِتَالِنَا، وَطَالَ مُقَامُكُمْ فِي أَرْضِنَا، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ عُصْبَةٌ يَسِيرَةٌ، وَقَدْ أَظَلَّكُمُ الرُّومُ وَجَهَّزُوا إِلَيْكُمْ، وَمَعَهُمْ مِنَ العُدَّةِ والسِّلاَحِ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُمْ هَذَا النِّيلُ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ أُسَارَى فِي أَيْدِينَا، فَأَرْسِلُوا إِلَيْنَا رِجَالاً مِنْكُمْ نَسْمَعُ مِنْ كَلاَمِهِمْ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَ الأمْرُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ عَلَى مَا تُحِبُّونَ وَنُحِبُّ، وَيَنْقَطِعُ عَنَّا وَعَنْكُمْ هَذَا القِتَالُ قَبْلَ أَنْ تَغْشَاكُمْ جُمُوعُ الرُّومِ، فَلاَ يَنْفَعُنَا الكَلاَمُ، وَلاَ يُقْدَرُ عَلَيْهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَنْدَمُوا إِنْ كَانَ الأَمْرُ مُخَالِفاً لِمَطْلَبِكُمْ وَرَجَائِكُمْ، فَابْعَثُوا إِلَيْنَا رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِكُمْ، نُعَامِلُهُمْ عَلَى مَا نَرْضَى نَحْنُ وَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ».

وَصَلَتْ رُسُلُ المُقَوْقِسِ إِلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ تَحْمِلُ إِلَيْهِ كِتَابَ سَيِّدِهَا، فَأَحَبَّ أَنْ يُبْقِيهِمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ لِيَرَوْا قُوَّتَهُمْ وَيَعْرِفُوا طَاعَتَهُمْ، فَتَضْعُفَ مَعْنَوِيَّاتُ القِبْطِ فَاسْتَبْقَاهُمْ عِنْدَهُ يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ مَعَ لَيَالِيهِمَا حَتَّى خَشِيَ المُقَوْقِسُ عَلَى رُسُلِهِ، وَتَسَاءَلَ مَعَ نَفْسِهِ وَسَأَلَ أَصْحَابَهُ: «أَتَرَوْنَ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ الرُّسُلَ وَيَحْبِسُونَهُمْ، وَيَسْتَحِلُّونَ ذَلِكَ فِي دِينِهِمْ».

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ أَطْلَقَ عَمْرُو بنُ العَاصِ الرُّسُلَ وَمَعَهُمُ الرَّدُّ إِلَى المُقَوْقِسِ وَفِيهِ: لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ سِوَى خِصَالٍ ثَلاَثٍ عَلَيْكُمْ اخْتِيَارَ إِحْدَاهَا.

١ - الدُّخُولُ فِي الإِسْلاَمِ، وَعِنْدَهَا تَكُونُونَ إِخْوَةً لَنَا، لَكُمْ مَالَنَا وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا.

٢ - إِنْ أَبَيْتُمُ الإِسْلاَمَ، عَلَيْكُمْ إِعْطَاءَ الجِزْيَةِ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ.

٣ - وَإِمَّا القِتَالُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ.

وَقَدْ تَنَاسَى الإِنْذَارَ أَوْ أَفْهَمَهُمْ بِهَذَا أَنَّ المُسْلِمِينَ لاَ يَهْتَمُّونَ بِإِنْذَارٍ وَلاَ يُبَالُونَ بِتَهْدِيدٍ فَهُمْ يُقَاتِلُونَ لِلَّهِ، وَيَطْلُبُونَ النَّصْرَ مِنْهُ وَحْدَهُ، وَلاَ يُبَالُونَ إِلاَّ بِرِضَاهُ.

وَصَلَتْ إِلَى المُقَوْقِس رُسُلُهُ فَاسْتَقْبَلَهُمْ بِسُرْعَةٍ وَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالَةِ المُسْلِمِينَ فقَالُوا: «رَأَيْنَا قَوْماً المَوْتُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الحَيَاةِ، وَالتَّوَاضُعُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّفْعَةِ، لَيْسَ لأَحَدِهِمْ فِي الدُّنْيَا رَغْبَةٌ وَلاَ نَهْمَةٌ، وَإِنَّمَا جُلُوسُهُمْ عَلَى التُّرَابِ، وَأَكْلُهُمْ عَلَى رُكَبِهِمْ، وَأَمِيرُهُمْ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ، مَا يُعْرَفُ رَفِيعُهُمْ مِنْ وَضِيعِهِمْ، وَلاَ السَّيِّدُ فِيهِمْ مِنَ العَبْدِ. وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، يَغْسِلُونَ أَطْرَافَهُمْ بِالمَاءِ، وَيَتَخَشَّعُونَ فِي صَلاَتِهِمْ».

وَكَانَ لِهَذَا الوَصْفِ أَثَرُهُ فِي إِضْعَافِ مَعْنَوِيَّاتِ القِبْطِ إِذْ قَالَ المُقَوْقِسُ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ مَا سَمِعَ عَنْ حَالَةِ المُسْلِمِينَ: «وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، لَوْ أَنَّ هَؤُلاَءِ اسْتَقْبَلُوا الجِبَالَ لأَزَالُوهَا، وَلاَ يَقْوَى عَلَى قِتَالِ هَؤُلاَءِ أَحَدٌ، وَلَئِنْ لَمْ نَغْتَنِمْ صُلْحَهُمُ اليَوْمَ، وَهُمْ مَحْصُورُونَ بِهَذَا النِّيلِ، لَمْ يُجِيبُونَا بَعْدَ اليَوم إِذَا أَمْكَنَتْهُمُ الأَرْضُ، وَقَوُوا عَلَى الخُرُوجِ مِنْ مَوْضِعِهِمْ». وَرَدَّ رُسُلَهُ إِلَى عَمْرٍو وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا لَهُ: ابْعَثْ إِلَيْنَا رُسُلاً مِنْكُمْ نُعَامِلُهُمْ وَنَتَدَاعَى نَحْنُ وَهُمْ إِلَى مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ.

بَعَثَ عَمْرُو بنُ العَاص عَشَرَةَ رِجَالٍ عَلَيْهِمْ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ مُتَكَلِّمَ القَوْم، وَأَلاَّ يُجِيبَهُمْ إِلَى

شَيْءٍ دَعُوهُ إلاَّ إلَى إحْدَى ثَلاَثٍ: الإسْلاَمِ ، أَوِ الجِزْيَةِ أَوِ القِتَالِ، فَإنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَدَ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ إلِيَّ، وَأَمَرنِي ألاَّ أَقْبَلَ شَيْئَاً سِوَى خِصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَلاَثِ خِصَالٍ.

رَكِبَ الوَفْدُ السَّفِينَةَ، وَوَصَلَ إلَى الجَزِيرَةِ، وَدَخَلَ عَلَى المُقَوْقِسِ ، وَتَقَدَّمَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ لِيُكَلِّمَهُ فَهَابَهُ المُقَوْقِسُ بِسَوَادِهِ وَطُولِهِ، إذْ كَانَ أَسْوَدَ يَقْرُبُ طُولُهُ مِنَ المِتْرَيْنِ ، فَقَالَ المُقَوْقِسُ: نَحُّوا عَنِّي هَذَا الأسْوَدَ، وَقَدِّمُوا غَيْرَهُ يُكَلِّمُنِي. فَقَالُوا: إنَّ هَذَا الأسْوَدَ أَفْضَلُنَا رَأْيَاً وَعِلْمَاً، وَهُوَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا، وَالمُقَدَّمُ عَلَيْنا، وَإنَّا نَرْجِعُ جَمِيعَاً إلَى قَوْلِهِ وَرَأْيِهِ، وَقَدْ أَمَّرَهُ الأمِيرُ دُونَنَا بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَأَمَرَنَا ألاَّ نُخَالِفَ رَأْيَهُ وَقَوْلَهُ.

وَيَبْدُو أَنَّ المُقَوْقِسَ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ صُفُوفَ الوَفْدِ أَوْ يَخْتَبِرَ بِنَفْسِهِ طَاعَتَهُمْ، فَقَالَ: وَكَيْفَ رَضِيتُمْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الأسْوَدُ أَفْضَلَكُمْ، وَإنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ دُونَكُمْ؟ قَالُوا: كَلاَّ! وَإنْ كَانَ أَسْوَدَ كَمَا تَرَى، فَإنَّه مِنْ أَفْضَلِنَا مَوْضِعَاً وَأَفْضَلِنَا سَابِقَةً وَعَقْلاً وَرَأْيَاً، وَلَيْسَ يُنْكَرُ السَّوَادُ فِينَا.

فَلَمَّا فَشِلَ المُقَوْقِسُ فِيمَا أَرَادَ قَالَ لِعُبَادَةَ: تَقَدَّمْ يَا أَسْوَدُ

وَكَلِّمْنِي بِرِفْقٍ ، فَإِنِّي أَهَابُ سَوَادَكَ ، وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَيَّ كَلاَمُكَ ، ازْدَدْت لَكَ هَيْبَةً .

تَقَدَّمَ عبادة ، رضي اللَّه عنه ، فقال : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَـكَ ، وَإِنَّ فِيمَنْ خَلَّفْتُ مِنْ أَصْحَابِي أَلْفَ رَجُلٍ أَسْوَدُ كُلُّهُمْ مِثْلِي ، وَأَشَدُّ سَوَاداً مِنِّي وَأَفْظَعُ مَنْظَراً ، وَلَوْ رَأَيْتَهُمْ لَكُنْتَ أَهْيَبَ لَهُمْ مِنِّي ، وَأَنَا قَدْ وَلَّيْتُ وَأَدْبَرَ شَبَابِي ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا أَهَـابُ مِائـةَ رَجُـلٍ مِنْ عَدُوِّي لَوِ اسْتَقْبَلُونِـي جَمِيعَـاً ، وَكَذَا أَصْحَابِي . وَذَلِكَ إِنَّمَا رَغْبَتُنَا الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاتِّبَـاعَ رِضْوَانِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ غَزْوُنَا عَدُوَّنَا مِمَّنْ حَارَبَ اللَّهَ لِرَغْبَـةٍ فِي الدُّنْيَا ، وَلاَ طَلَبَاً لِلاسْتِكْثَارِ مِنْهَا ؛ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَحَلَّ ذَلِكَ لَنَا ، وَجَعَلَ مَا غَنِمْنَا مِنْ ذَلِكَ حَلاَلاً ، وَمَا يُبَالِي أَحَدُنَا : أَكَانَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنْ ذَهَبٍ ، أَمْ كَانَ لاَ يَمْلِكُ إِلاَّ دِرْهَمَاً ! لأَنَّ غَايَةَ أَحَدِنَـا مِنَ الـدُّنْيَا أَكْلَـةٌ يَأْكُلُهَـا ، يَسُـدُّ بِهَـا جَوْعَتَـهُ ، وَشَمْلَـةٌ يَلْتَحِفُهَا ، فإن كان لا يملك إلا ذلك كَفَاهُ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنْ ذَهَبٍ أَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى هَذَا الَّذِي بِيَدِهِ ، لأَنَّ نَعِيمَ الـدُّنْيَا لَيْسَ بِنَعِيمٍ ، وَرَخَاءَهَـا لَيْسَ بِرَخَـاءٍ ، إِنَّمَـا النَّعِيمُ وَالرَّخَاءُ فِي الآخِرَةِ ، وَبِذَلِكَ أَمَرَنَا رَبُّنَا ، وَأَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ، وَعَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ تَكُونَ هِمَّةُ أَحَدِنَـا مِنَ الـدُّنْيَا إِلاَّ فِيمَـا يُمْسِـكُ

جَوْعَتَهُ، وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ، وَتَكُونُ هِمَّتُهُ وَشُغْلُهُ فِي رِضَا رَبِّهِ وَجِهَادِ عَدُوِّهِ.

فَلَما انتَهَى عُبَادَةُ مِنْ كَلاَمِهِ، قَالَ المُقَوْقِسُ لِمَنْ حَوْلَهُ: هَلْ سَمِعْتُمْ مِثْلَ كَلاَمِ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ! لَقَدْ هِبْتُ مَنْظَرَهُ، وَإِنَّ قَوْلَهُ عِنْدِي لأَهْيَبُ مِنْ مَنْظَرِهِ، إنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ لِخَرَابِ الأَرْضِ، وَمَا أَظُنُّ مَلِكَهُمْ إلاَّ سَيَغْلِبُ عَلَى الأَرْضِ كُلِّها.

وَعَادَ المُقَوْقِسُ إِلَى التَّهْدِيدِ بِصُورَةٍ هَادِئَةٍ بَعْدَ أَنِ اسْتَجْمَعَ قُوَاهُ فَقَالَ لِعُبَادَةَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ، وَمَا ذَكَرْتَ عَنْكَ وَعَنْ أَصْحَابِكَ، وَلَعَمْرِي مَا بَلَغْتُمْ إلاَّ بِمَا ذَكَرْتَ، وَلاَ ظَهَرْتُمْ عَلَى مَنْ ظَهَرْتُمْ عَلَيْهِ إلاَّ لِحُبِّهِمُ الدُّنْيَا وَرَغْبَتِهِمْ فِيهَا، وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْنَا لِقِتَالِكُمْ مِنْ جَمْعِ الرُّومِ مَا لاَ يُحْصَى عَدَدُهُ، قَوْمٌ مَعْرُوفُونَ بِالنَّجْدَةِ وَالشِّدَّة مِمَّنْ لاَ يُبَالِي أَحَدُهُمْ مَنْ لَقِيَ وَلاَ مَنْ قَاتَلَ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَنْ تَقْوَوا عَلَيْهِمْ وَلَنْ تَطِيقُوهُمْ لِضَعْفِكُمْ وَقِلَّتِكُمْ، وَقَدْ أَقَمْتُمْ بَيْنَ أَظْهُرِنَا أَشْهُراً، وَأَنْتُمْ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ فِي مَعَاشِكُمْ وَحَالِكُمْ، وَنَحْنُ نَرِقُّ عَلَيْكُمْ لِضَعْفِكُمْ وَقِلَّتِكُمْ وَقِلَّةِ مَا بِأَيْدِيكُمْ، وَنَحْنُ تَطِيبُ أَنْفُسُنَا أَنْ نُصَالِحَكُمْ عَلَى أَنْ نَفْرِضَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ دِينَارَيْنِ

دِينَـارَيْنِ ، وَلأَمِيرِكُمْ مائـةَ دِينَـارٍ، وَلِخَلِيفَتِـكُمْ أَلْفَ دِينَـارٍ، فَتَقْبِضُونَهَا وَتَنْصَرِفُونَ إِلَى بِلاَدِكُمْ قَبْـلَ أَنْ يَغْشَـاكُمْ مَا لاَ قُوَّةَ لَكُمْ بِهِ.

فَقَالَ عُبَادَةُ: يَا هَذَا لاَ تَغُرَّنَّ نفسَكَ وَلاَ أَصْحَابَكَ. أَمَّا مَا تُخَوِّفُنا بِهِ مِنْ جَمْعِ الرُّومِ وَعَدَدِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ، وَأَنَّا لاَ نَقْوَى عَلَيْهِمْ، فَلَعَمْرِي مَا هَذَا الَّذِيْ تُخَوِّفُنَا بِهِ، وَلاَ بِالَّذِي يَكْسِرُنَا عَمَّا نَحْنُ فِيهِ. إِنْ كَانَ مَا قُلْتُمْ حَقّاً فَذَلِكَ وَاللَّهِ أَرْغَبُ مَا يَكُونُ فِي قِتَالِهِمْ، وَأَشَدُّ لِحِرْصِنَا عَلَيْهِمْ؛ لأِنَّ ذَلِكَ أَعْذَرُ لَنَـا عِنْـدَ رَبِّنَا إِذَا قَدِمْنَا عَلَيْهِ، وَإِنْ قُتِلْنَا مِنْ آخِرِنَـا كَانَ أَمْكَنَ لَنَـا فِي رِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَقَرُّ لأِعْيُنِنا، وَلاَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّا مِنْكُمْ حِينَئِذٍ عَلَى إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ.

إِمَّا أَنْ تَعْظُمَ لَنَا بِذَلِكَ غَنِيمَةُ الدُّنْيَا إِنْ ظَفِرْنَا بِكُمْ، أَوْ غَنِيمَةُ الآخِرَةِ إِنْ ظَفِرْتُمْ بِنَا، وَإِنَّهَـا لأَحَـبُّ الخِصْـلَتَينِ إِلَيْنَـا بَعْـدَ الاجْتِهَادِ مِنَّا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَنَا فِي كِتَابِهِ: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وَمَا مِنَّا رَجُلٌ إِلاَّ وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ صَبَاحـاً مَسَـاءً أَنْ يَرْزُقَـهُ الشَّهَادَةَ، وَأَلاَّ يُرَدَّ إِلَى بَلَدِهِ، وَلاَ إِلَـى أَهْلِـهِ وَوَلَـدِهِ، وَلَيْسَ لأِحَدٍ مِنَّا هَمٌّ فِيمَا خَلَّفَهُ، وَقَدِ اسْتَوْدَعَ كُلٌّ واحدٍ مِنَّا رَبَّهُ أَهْلَهُ

وَوَلَدَهُ، وَإِنَّمَا هَمُّنَا مَا أَمَامَنَا.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ مِنْ مَعَاشِنَا وَحَالِنَا، فَنَحْنُ فِي أَوْسَعِ السَّعَةِ، لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَنَا مَا أَرَدْنَا لأَنْفُسِنَا مِنْهَا أَكْثَرَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ. فَانْظُرِ الَّذِي تُرِيدُ، فَبَيِّنْهُ لَنَا، فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ خِصْلَةٌ نَقْبَلُهَا مِنْكُمْ وَلاَ نُجِيبُكَ إِلَيْهَا إِلاَّ خِصْلَةٌ مِنْ ثَلاَثٍ، فَاخْتَرْ أَيُّهَا شِئْتَ، وَلاَ تُطْمِعْ نَفْسَكَ فِي البَاطِلِ؛ بِذَلِكَ أَمَرَنِي الأَمِيرُ، وَبِهَا أَمَرَهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ؛ وَهُوَ عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ قَبْلُ إِلَيْنَا.

أَمَّا إِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ الَّذِيْ هُوَ الدِّينُ الَّذِي لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ دِينُ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، أَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ نُقَاتِلَ مَنْ خَالَفَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ، فَإِنْ فَعَلَ كَانَ لَهُ مَالَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا، وَكَانَ أَخَانَا فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنْ قَبِلْتَ ذَلِكَ أَنْتَ وَأَصْحَابَكَ فَقَدْ سَعِدْتُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَرَجَعْنَا عَنْ قِتَالِكُمْ، وَلَمْ نَسْتَحِلَّ أَذَاكُمْ وَلاَ التَّعَرُّضَ لَكُمْ.

وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ الجِزْيَةَ، فَأَدُّوا إِلَيْنَا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ، نُعَامِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ نَرْضَى بِهِ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي كُلِّ عَامٍ أَبَداً مَا بَقِينَا وَبَقِيتُمْ، وَنُقَاتِلُ عَنْكُمْ مَنْ نَاوَأَكُمْ وَعَرَضَ لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْضِكُمْ وَدِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَنَقُومُ بِذَلِكَ عَنْكُمْ، إِذْ كُنْتُمْ

فِي ذِمَّتِنا، وَكَانَ لَكُمْ بِهِ عَهْدُ اللَّهِ عَلَيْنَا.

وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلاَّ المُحَاكَمَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى نَمُوتَ عَنْ آخِرِنَا أَوْ نُصِيبَ مَا نُرِيدُ مِنْكُمْ.

هَذَا دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ، وَلاَ يَجُوزُ لَنْا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ غَيْرُهُ، فَانْظُرُوا لأَنْفُسِكُمْ. فَقَالَ المُقَوْقِسُ: هَذَا مِمَّا لاَ يَكُونُ أَبَداً، مَا تُرِيدُونَ إِلاَّ أَنْ تَتَّخِذُونَا عَبِيداً مَا كَانَتِ الدُّنْيَا. فَقَالَ عُبَادَةُ: هُوَ ذَاكَ، فَاخْتَرْ مَا شِئْتَ.

فَقَالَ المُقَوْقِسُ: أَفَلاَ تُجِيبُونَا إِلَى خِصْلَةٍ غَيْرِ هَذِهِ الخِصَالِ الثَّلاَثِ؟ فَرَفَعَ عُبَادَةُ يَدَيْهِ، وَقَالَ: لاَ، وَرَبِّ السَّمَاءِ وَرَبِّ هَذِهِ الأَرْضِ وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ، مَالَكُمْ عِنْدَنَا خِصْلَةٌ غَيْرُهَا، فَاخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمْ.

الْتَفَتَ المُقَوْقِسُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: قَدْ فَرَغَ القَوْلُ فَمَا تَرَوْنَ؟ فَقَالُوا: أَوَ يَرْضَى أَحَدٌ بِهَذَا الذُّلِّ؟ أَمَّا مَا أَرَادُوا الدُّخُولَ فِي دِينِهِمْ؛ فَهَذَا لاَ يَكُونُ أَبَداً، وَلاَ نَتْرُكُ دِينَ المَسِيحِ ابنِ مَرْيَمَ، وَنَدْخُلُ فِي دِينٍ لاَ نَعْرِفُهُ، وَأَمَّا مَا أَرَادُوا أَنْ يَسْبُونَا وَيَجْعَلُونَا عَبِيداً أَبَداً، فَالمَوْتُ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ لَوْ رَضُوا أَنْ نُضَاعِفَ لَهُمْ مَا أَعْطَيْنَاهُمْ مِرَاراً، كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا.

فَقَالَ المُقَوْقِسُ لِعُبَادَةَ: قَدْ أَبَى القَوْمُ، فَمَا تَرى؟ فَرَاجِعْ صَاحِبَكَ، عَلَى أَنْ نُعْطِيَكُمْ فِي مَرَّتِكُمْ هَذِهِ مَا تَمَنَّيْتُم وَتَنْصَرِفُونَ.

فَقَامَ عُبَادَةُ وَأَصْحَابُهُ.

فَقَالَ المُقَوْقِسُ لِمَنْ حَوْلَهُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَطِيعُونِي، وَأَجِيبُوا القَوْمَ إِلى خِصْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَلاَثِ، فَوَاللَّهِ مَالَكُمْ بِهِم طَاقَةٌ! وَإِنْ لَمْ تُجِيبُوا طَائِعِينَ لَتُجِيبُنَّهُمْ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمَ مِنْهَا كَارِهِينَ.

فَقَالُوا: أَيُّ خِصْلَةٍ نُجِيبُهُمْ إِلَيْهَا؟

قَالَ: إِذَنْ أُخْبِرُكُمْ... أَمَّا دُخُولُكُمْ فِي غَيْرِ دِينِكُمْ، فَلاَ آمُرُكُمْ بِهِ؛ وَأَمَّا قِتَالُهُمْ فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ، وَلَنْ تَصْبِرُوا صَبْرَهُمَ، وَلاَ بُدَّ مِن الثَالِثَةِ.

قَالُوا: فَنَكُونُ لَهُمْ عَبِيداً أَبَداً؟ قَالَ: نَعَمْ تَكُونُونَ عَبِيداً مُسَلَّطِينَ فِي بِلاَدِكُمْ، آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمُوتُوا عَنْ آخِرِكُمْ، وَتَكُونُوا عَبِيداً، وَتُبَاعُوا وَتُمَزَّقُوا فِي البِلاَدِ مَسْتَبْعَدِينَ أَبَداً، أَنْتُمْ وَأَهْلُوكُم وَذَرَارِيكُمْ.

قَالُوا: فَالمَوْتُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا. وَأَمَـرُوا بِقَطْـعِ الجِسْـرِ بَيْنَ الجَزِيرَةِ وَالبَرِّ، وَفِي الحِصْنِ حِصْنِ بَابِلِيُونَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الرُّومِ وَالقِبْطِ.

وَاسْتَعَـدَّ المُسْلِمُـونَ لِلْقِتَـالِ وَهَاجَمُـوا الحِصْـنَ بِحَمَاسَـةٍ وَشَجَاعَةٍ فَتَمَكَّنُـوا مِنْ فَتْحِـهِ، وَقَـدْ قَتَلُـوا كَثِيراً مِنْ أَعْدائِهِـمْ وَأَسَرُوا الكَثِيرَ، ثُمَّ طَلَبَ المُقَوْقِسُ عَقْدَ صُلْحٍ مَعَ المُسْلِمِينَ، فَتَمَّ الصُّلْحُ عَلَى فَرْضِ جِزْيَةٍ عَلَى السُّكَانِ بِمُعَدَّلِ دِينَـارَيْنِ عَلَى الفَرْدِ الوَاحِدِ. وَبَقِيتِ الأَرْضُ بِيَدِ أَهْلِهَا، وَوُضِعَ الخَرَاجُ عَلَى الأَرْضِ، وَالجِزْيَةُ عَلَى الأَشْخَاصِ.

وَبَعْـدَ أَنْ تَمَـكَّنَ المُسْلِمُـونَ فِي مِصْـرَ وَجَّهَـهُ عَمْرُو بْـنُ العَاصِ عَلَى رَأْسِ حَمْلَةٍ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَتَمَّ لَهُ فَتْحَهَا.

العَوْدَةُ إِلَى الشَّامِ:

بَعْدَ فَتْحِ مِصْرَ رَجَعَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى الشَّامِ، وَأَقَـامَ فِي مِنْطَقَـةِ فِلِسْطِينَ، وَكَانَ أَوَّلَ قَاضٍ فِيهَا، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا، أَمِيرَ الشَّامِ. وَكَانَ يَغْزُو بِلاَدَ الرُّومِ بَيْنَ المُدَّةِ وَالأُخْرَى، ثُمَّ بَنَى أُسْطُولاً بَعْدَ أَنِ اسْتَشَارَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ، وَبَدَأَ يُنَازِلُ الرُّومَ بَحْـرَاً، وَكَانَ أَوَّلَ غَزْوَةٍ لَهُ غَزْوُ قَبْرُصَ عَامَ ٢٧، وَكَانَ الغَزْوُ اخْتِيَارِيَّاً، فَتَطَوَّعَ فِيْهِ فِيمَنْ تَطَوَّعَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وَكَانَتْ مَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ حَرَامٍ، وَقَدْ تُوفِّيَتْ هُنَاكَ بَعْدَ أَنْ وَقَعَتْ عَنِ دَابَّتِهَا، وَدُفِنَتْ فِي جَزِيرَةِ قُبْرُصَ.

وَرَجَعَ عُبَادَةُ مِنَ الجِهَادِ فَأَقَامَ بِالرَّمْلَةِ بِفِلْسِطِينَ وَبَقِيَ فِيهَا حَتَّى تُوفِّيَ عَامَ ٣٤ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ، وَإِمْرَةِ مُعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ، وَدُفِنَ هُنَاكَ. وَتَقُولُ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ دُفِنَ فِي القُدْسِ، وَبَعْضُهَا تَجْعَلُ وَفَاتَهُ عَامَ ٤٥ فِي خِلاَفَـةِ مُعَـاوِيَةَ، وَبَعْضُهَا الآخَرُ يَجْعَلُ وَفَاتَهُ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ.

فِي القِتَالِ:

كَانَ انْضِمَامُ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِـتِ إِلَـى جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِ الفَتْـحِ كَفِيلاً بِزِيَادَةِ مَعْنَوِيَّاتِـهِ، إِذْ كَانَ يَتَقَـدَّمُ المُقَـاتِلِينَ، وَيَنْطَلِـقُ كَالسَّهْـمِ، لاَ يُبَالِـي بِأَيِّ عَدُوٍّ أَمَامَـهُ، وَكَانَ طُولُـهُ يُسَاعِدُهُ لِيَنَالَ مِنْ خُصُومِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَالُوا مِنْهُ هَذَا إِضَافَـةً إِلَـى شَجَاعَتِهِ، وَطَلَبِهِ لِلشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَشْتَرِكُ فِي هَذِهِ المَيِّزَةِ كَثِيرٌ مِنْ جُنْدِ الإِسْلاَمِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ عَدَمَ الْتِفَاتِهِ إِلَى الغَنَائِمِ مَهْمَا

كَثُرَتْ، وَلاَ يُبَالِي بِمَا يُخَلِّفُهُ الأعْدَاءُ مَهْمَا عَظُمَ، فَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي أَثْنَاءَ حِصَارِ حِصْنِ بَابِلْيُونَ فِي مِصْرَ، وَفَرَسُهُ عِنْدَهُ، فَرَآهُ قَوْمٌ مِنَ الرُّومِ فَطَمِعُوا فِيهِ فَخَرَجُوا إِلَيْهِ، وَعَلَيْهِمْ حُلْيَةٌ وَبِزَّةٌ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ، سَلَّمَ مِنَ الصَّلاَةِ، وَوَثَبَ عَلَى فَرَسِهِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَلُّوا هَارِبِينَ فَتَبِعَهُمْ، فَجَعَلُوا يُلْقُونَ مَنَاطِقَهُمْ وَمَتَاعَهُمْ لِيُشْغِلُوهُ بِذَلِكَ عَنْ طَلَبِهِمْ؛ فَصَارَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا إِلَى الحِصْنِ، وَرُمِيَ عُبَادَةُ مِنْ فَوْقِ الحِصْنِ بِالحِجَارَةِ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِشَيْءٍ مِمَّا طَرَحُوهُ مِنْ مَتَاعِهِمْ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ الَّذِيْ كَانَ فِيْهِ، فَاسْتَقْبَلَ الصَّلاَةَ، وَخَرَجَ الرُّومُ إِلى مَتَاعِهِمْ فَجَمَعُوهُ.

مِنْ مَوَاقِفِهِ:

١ ـ غَزَا عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ مَعَ مُعَاوِيَةَ أَرْضَ الرُّومِ، فَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ، وَهُمْ يَتَبَايَعُونَ كِسَرَ الذَّهَبِ بِالدَّنَانِيرِ، وَكِسَرَ الفِضَّةِ بِالدَّرَاهِمِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَأْكُلُونَ الرِّبَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (لاَ تَبْتَاعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلاَّ مِثْلاً بِمِثْلٍ، لاَ زِيَادَةَ بَيْنَهُمَا، وَلاَ نَظِرَةَ)، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا أَبَا الوَلِيدِ، لاَ أَرَى الرِّبَا فِي هَذَا إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ

نَظْرَةٍ. فَقَالَ عُبَادَةُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُحَدِّثُنِي عَنْ رَأْيِكَ! لَئِـنْ أَخْرَجَنِـي اللَّهُ لاَ أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ لَكَ عَلَيَّ فِيهَا إِمْرَةٌ.

وَرَجَـعَ عُبَـادَةُ إِلَـى المَدِينَـةِ، فَقَـالَ لَهُ عُمَرُ بْـنُ الخَطَّابِ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَبَا الوَلِيدِ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ القِصَّةَ وَمَا قَالَ مِنْ مُسَاكَنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: ارْجَعْ يَا أَبَا الوَلِيدِ إِلَى أَرْضِكَ، فَقَبَّحَ اللَّهُ أَرْضاً لَسْتَ فِيهَا وَأَمْثَالُكَ. وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: لاَ إِمْرَةَ لَكَ عَلَيْهِ، وَاحْمِلِ النَّاسَ عَلَى مَا قَالَ، فَإِنَّهُ هُوَ الأَمْرُ.

٢ ـ خَطَبَ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَـا، فَذَكَرَ الفِرَارَ مِنَ الطَّاعُونِ[١] فِي خُطْبَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عُبَادَةُ: أُمُّكَ هِنْدُ أَعْلَمُ مِنْكَ، فَأَتَمَّ مُعَاوِيَةُ خُطْبَتَهُ، ثُمَّ صَلَّى، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عُبَادَةَ، فَقَال لَهُ: أَلَمْ تَتَّقِ اللَّهَ وَتَسْتَحِي إِمَامَـكَ؟ فَقَـالَ عُبَادَةُ: أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ، صَلَّـى

---

(١) حديث الطاعون: قال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تَقْدُمُوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه). رواه البخاري، ومسلم، وأخرجه أبو داود، ومالك في الموطأ. وكذا روي عن أسامة بن زيد، وأخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والطبراني.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةَ العَقَبَةِ، أَنِّي لاَ أَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ؟.

ثُمَّ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عِنْدَ العَصْرِ، فَصَلَّى العَصْرَ، ثُمّ أَخَذَ بِقَائِمَةِ المِنْبَرِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ لَكُمْ حَدِيثاً عَلَى المِنْبَرِ، فَدَخَلْتُ البَيْتَ، فَإِذَا الحَدِيثُ كَمَا حَدَّثَنِي عُبَادَةُ، فَاقْتَبِسُوا مِنْهُ فَهُوَ أَفْقَهُ مِنِّي[1].

رِوَايَتُهُ لِلْحَدِيثِ:

رُوِيَ لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مائةٌ وَوَاحِدٌ وَثَمَانُونَ حَدِيثاً، اتَّفَقَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْهَا عَلَى سِتَّةٍ، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِحَدِيثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِآخَرَيْنِ. وَرَوى أَكْثَرَ الأَحَادِيثِ عَنْه الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ.

رَوَى عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَأَبُو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ، وَجَابِرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ، وَفَضَالَةُ بنُ عُبَيْدٍ، وَأَبُو أُبَيٍّ بنُ أُمِّ حَرَامٍ عَبْدُاللَّهِ بنُ عَمْرٍو.

وَرَوَى عَنْهُ مِنَ التَّابِعِينَ أَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيُّ، وَأَبُو مُسْلِمٍ الخَوْلاَنيُّ، وَجَنَادَةُ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَأَبُو الأَشْعَثُ الصَّنْعَانِيُّ،

---

(١) تهذيب ابن عساكر.

وَجُبَيْرُ بنُ نَضِيرٍ الحَضْرَمِيُّ الحِمْصِيُّ، وَحَطَّانُ بنُ عَبْدِاللَّهِ الرَّقَاشِيُّ البَصْرِيُّ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عُسَيْلَةَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ الصُّنَابِحِيُّ، وَعَطَاءُ بنُ يَسَارٍ المَدَنِيُّ وَغَيْرُهُمْ، وَمِنْهُمْ أَوْلاَدُهُ الوَلِيدُ، وَعَبْدُاللَّهِ، وَدَاوُدُ.

نِسَاؤُهُ وَأَوْلاَدُهُ:

تَزَوَّجَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ امْرَأَتَيْنِ أَنْجَبَتَا لَهُ عِدَّةَ أَوْلاَدٍ، فَقَدْ تَزَوَّجَ:

١ - جَمِيلَةَ بنتَ أَبِي صَعْصَعَةَ، وَأَبُو صَعْصَعَةَ: هُوَ عَمْرُو بنُ زَيْدِ بنِ عَوْفٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ جَمِيلَةُ، وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْجَبَتْ لِعُبَادَةَ الوَلِيدَ فِي أَوَاخِرِ عَهْدِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَخَلَفَ عُبَادَةَ عَلَيْهَا الرَّبِيعُ بنُ سُرَاقَةَ بنِ عَمْرٍو الخَزْرَجِيِّ الأَنْصَارِيِّ فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَاللَّهِ، وَمُحَمَّداً، وَبُثَيْنَةَ. وَبَعْدَ سُرَاقَةَ تَزَوَّجَهَا خَلْدَةُ بنُ أَبِي خَالِدِ بنِ قَيْسِ بنِ خَالِدٍ الخَزْرَجِيِّ الأَنْصَارِيِّ.

٢ - أُمَّ حَرَام بِنْتَ مَلْحَانَ بنِ خَالِدٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ

الخَزْرَجِ ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْجَبَتْ لِعُبَادَةَ مُحَمَّداً . وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَهَا عَمْرُو بنُ قَيْسِ بن زَيْدٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، فَأَنْجَبَتْ لَهُ قَيْساً وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ زَوَاجِ عُبَادَةُ بِهَا .

وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَةُ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَوَى عَنْهَا أَنَّها قَالَتْ : قَالَ(١) رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي بَيْتِي فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ : يا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ : نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ هَذَا البَحْرَ كَالمُلُوكِ عَلَى الأسِرَّةِ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ . قَالَ : أَنْتِ مِنْهُمْ ، قَالَتْ : ثُمَّ قَالَ فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ بَضْحَكُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ : نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ هَذَا البَحْرَ كَالمُلُوكِ عَلَى الأسِرَّةِ ، قَالَتْ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ . فَغَزَتْ مَعَ زَوْجِهَا عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ قُبْرُصَ فَوَقَصَتْهَا رَاحِلَتُهَا فَمَاتَتْ ، وَدُفِنَتْ فِي قُبْرُصَ .

وَمِنْ أَوْلَادِهِ عَبْدُ اللَّهِ وَدَاوُدُ مِنْ أُمَّهاتِ أَوْلَادٍ .

---

(١) قال يقيل قيلولة : نام في الظهيرة .

إِخْوَتُهُ:

لَهُ مِنَ الإِخْوَةِ الأشِقَّـاءِ أَوْسُ بـنُ الصَّامِـتِ، وَهُـوَ الَّـذِيْ تَزَوَّجَ خَوْلَةَ بِنْتَ ثَعْلَبَةَ، وَاخْتَلَفَتْ مَعَهُ فَظَاهرَ مِنْهَا فَاشْتَكَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا، وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) ـ من سورة المجادلة ـ.

وَخَوْلَةُ بِنْتُ الصَّامِتِ: وَأَسْلَمَـتْ وَبَايَعَـتْ رَسُـولَ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَزَوَّجَهَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَـنِ يَزِيدُ بـنُ ثَعْلَبَةَ مِنْ بِلِي فَوَلَدَتْ لَهُ عَامِراً وَأُمَّ عُثْمَانَ.